# عشتم... أهل بلدى

عطر الله ذكرى الراحل اسماعيل حسن الشاعر المتفرد قامة و قيمة فى ميزان الشعر و صياغة القوافى و فارس السهل الممتنع و الذى امتطى صهوة جواد الأغنية السودانية وطار بها فى (عصر الثنائيات) الى سماوات لم يحلق فيها أحد.فترك اسمه منحوتا فى ذاكرة كل أهل بلدى

عدت الى أبوظبى بعد اجازة طويلة فى السودان حملت فى ثناياها قدرا من الحزن زلزلنى من الداخل على كل الأصعدة.فهى أول اجازة غير مخططة تدخل قاموس حياتى المبرمجة وفى شهر حزيران الذى لم يحدث ان حضرت فيه الى السودان منذ ان خرجت قبل ميلاد صغرى بناتى و التى تخرجت من كلية الصيدلة هذ العام . وفى توقيت فقدت فيه اكبر منارات فى مسيرة حياتى العلمية و العمليه..ألاولى كان رحيل البروفسير طه بعشر والذى ادخلنى عالم الطب النفسى و علمنى عبادة العمل و حب المرضى والثانية رحيل أخى الأكبر و صديق عمرى عثمان حسين والذى علمنى حب الحياة و فضيلة الوفاء فى غير من و لا أذى و عزة النفس فى غير ذم و لا تجريح وعظمة الكبرياء فى غير صلف و لاغرور..

وتجاوزت الزلزلة الوقت الذى حددته للبقاء حتى ظن الكثيرون اننى لن أعود وهذه اكبر هموم المغترب ان يتجاوز السقف الزمنى المسموح به فى العقد و أشبه بالقفز فى الظلام و السقوط فى غياهب شروط الوظيفة و التزامات العمل حتى وان كان فى قبضة جهاز المغتربين يبتهل الى الله ان ان يهيئ له مقابلة ( تاج الدين ) واشهد الله اننى له من المدينين ولسان حالى يقول:

وظلم ذوى القربى أشد مضاضة...على النفس من وقع الحسام المهند

عدت لاجد أسئلة كثيرة تطوف فى اذهان من شاهدونى على شاشة التلفزيون و أيقنوا اننى قد طاب لى المقام وجئت اعلن ضربة البداية فى مباراة العودة الى الوطن و ربما فاتهم قرآءة هذا الاعلان منذ أمد بعيد فى اكثر من قصيدة و اكثر من ديوان و ما تشاءون الا ان يشاء الله..و ظن آخرون اننى أهيئ زينتى و أعد مفتخر الثياب بعد ان كتبت مقالة ( ما احلى الرجوع اليه ) فى مرة سابقة.وحتى الذين تقدموا لى بالعزاء فى طريقى الى المطار تعجبوا لماذا طالت الاجازة الطارئة لبضعة أيام الى عدة أسابيع

و الواقع اننى ولاول مرة ومنذ عدة عقود وانا اتردد بصورة منتظمة على الوطن و فى خضم هذا الجو المخنوق برائحة الموت المنبعث من داخل أحب البيوت

الى قلبى التقيت بمجموعات من الاصدقاء فارقتهم عشرات السنين و كعادة السودانيين الذين تربطهم السراء و الضراء و تجمعهم ( الحارة) التقيت بمن فارقتهم فى رفقة الدراسة فى كل المراحل و صداقة العمل فى اعظم مدن السودان ولذة الهواية فى شتى ضروب الفن والادب و الشعر و الموسيقى من الشعراء و المطربين و الاذاعيين و الصحافيين و الاطباء و المهندسين وزملاء المهن الاخرى فركبت قاربى فى لجة ذلك البحر وقذفت بى أمواجه الى شواطئ أسطورية حملتنى الى اعماق عالم الأحبة الراحلين

و الحق يقال لقد احتفت بى بلادى و اكرمتنى جماعتى و اعزتنى صداقتنى وشرفتنى علاقتى بكل من لاقيت وخففت عنى شعور الحزن و غسلت من قلبى مرارة الاغتراب..لقد غمرنى الاصدقاء الاطباء بكرم الضيافة فى

ارقى البرامج التلفزيونية و احلى الامسيات الشعرية و اجمل الندوات الاذاعية و اروع اللقاءات الصحفية فاعادت لى الحياة و عادت بى الى الحياة وكنت أقول دائما ( لقد احيتنى الغربة انسانا و قتاتنى فنانا )

كتبت هذا النص فى هذه الصفحة عندما كنت فى القاهرة فى طريقى الى الخرطوم وبعثت برسالة الى رفيق الصبا و توأم الدراسة منذ الطفولة الدكتور ابراهيم دقش اعتذر عن الحضور الى الخرطوم فى ابريل الماضى لظروف خاصة وما كنت ادرى ان الاقدار تخبئ لى الحضور فى ميقات فى عالم الغيب لاعود فى حزيران الحزين لحضور المأتم الوطنى الكبير.. ربما كان الى جانب نعمة عظة الموت أن يكون صيوان العزاء فرصة اللقاء لكل اهلى و اصدقائى و عشيرتى..أشبه بالحجر يلقى به فى لجة الماء فتنداح دوائر تتسع لتشمل البحر كله كما يقول الشاعر ابن الرومى:

الا بمقدار ما تنداح دائرة... فى لجة الماء يلقى فيه بالحجر

فانداحت هذه الدوائر و اتسعت لتحملنى الى شواطئ لم احلم بالوصول لها و مرافئ لم افكر فى الابحار اليها.

فشكرى لكل وجه مضئ الابتسامة منحنى من بريقه حفنة ضوء غمرت غياهب حزنى و لكل قلب نابض بالحب ضخ فى شراييني دما جديدا لاواصل مشوارى فى رحلتى المضنية ولكل قلم صادق خط حروفا رقيقة على دفتر ذكرياتى و اضاف سطورا جديدة فى سيرتى الذاتية التى امتلأت صفحاتها من أشجان الغربه..ولم يجف الحبر من مداد قلمى و هو يكتب ألاشعار مترعا بلوعة الحنين للوطن رغم حالة العشق التى تخصنى بها مدينتى..أبوظبى .